مِنْ هِدَايَات سُورَة الْحَج

خطبة جمعة بتاريخ / 6-12-1439 هـ

إنّ الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده اللهُ فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمّداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد أيها المؤمنون عباد الله : اتقوا الله تعالى ، فإن تقواه خير زاد يبلغ إلى رضوان الله ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:197] .

أيها المؤمنون : في القرآن العظيم سورة فُضِّلت على سور القرآن بأنَّ فيها سجدتين ، تحمل هذه السورة اسم طاعة عظيمة وعبادة جليلة وركن من أركان الإسلام ؛ إنها «سورة الحج» ، وقد تضمنت –عباد الله– هذه السورة في جملة مضامينها العظيمة وهداياتها الكريمة ومعانيها الجليلة تضمنت أحكام الحج ، وحِكمه ، وقصة بناء البيت ، وذِكر من بناه ، ومنافع الحج المتنوعة وفوائده وثماره وآثاره ، إلى غير ذلك من المعاني الجليلة والهدايات العظيمة المتعلقة بحج بيت الله الحرام .

أيها المؤمنون : بُدئ هذا السياق المبارك في هذه السورة ببيان حرمة البيت وشدة تعظيمه والتحذير من إرادة المعصية فيه ؛ فكيف بفعلها ! قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25] .

ثم ذكر جل وعلا قصة بناء البيت في تلك البقعة التي هي أحب بقاع الأرض إلى الله ، وتشريف الله جل وعلا لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يتولى هذه المهمة الشريفة والعمل الجليل ؛ بناء بيت الله ورفعه وتشييده ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج:26] .

ثم من بعد هذا النداء وهذا الشرف الذي تُوِّج به إبراهيم الخليل عليه السلام يأمره الله جل وعلا بأن يعلن في الناس وأن ينادي نداءً للناس أجمعين القاصي منهم والداني بأن الله جل وعلا يدعوهم إلى زيارة هذا البيت وحج بيت الله الحرام ، ففعل عليه السلام ، وفعل من بعده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتوالت وفود الحجيج من كل فج عميق ميمِّمين بيت الله رجالًا وركبانا شعارهم «لبيك اللهم لبيك» ، قال الله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج:27] .

ثم ذكر جل وعلا منافع الحج العظيمة وأهدافه الجليلة وفوائده المتنوعات فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:28-29] .

ثم بيَّن جل وعلا منبِّها العباد على وجوب احترام شعائر الله وتعظيم حرماته جل في علاه ؛ وأن ذلك خير للعبد في دنياه وأخراه ، وأنه علامةٌ على تحقيق تقوى الله ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:30] وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:32] .

أيها المؤمنون : وتضمن هذا السياق العظيم في بيان الحج وأحكامه وحِكمه التحذير من الشرك والدعوة إلى الحنيفية السمحة ، وبيان عقوبة الشرك الوخيمة وعواقبه الأليمة ، قال الله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:30-31] .

أيها المؤمنون : ثم تضمن هذا الساق العظيم ذكر تسخير الله بهيمة الأنعام ، وإنعام الله سبحانه وتعالى على العباد بأن سخر لهم جل وعلا هذه النعمة متضمنةً أو مشتملةً على فوائد عظيمة ومنافع جليلة من أجلِّها أن تقدَّم قرابانًا لله سبحانه وتعالى عند بيته العتيق ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ(33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:33-34] .

أيها المؤمنون : ثم تضمن السياق لفتة عجيبة وتنبيهًا عظيما إلى أهمية الإخبات إلى الله ؛ إشارةً إلى أن الحج مدرسة تربي النفوس وتهذب القلوب وتدعو العباد إلى الإنابة والتواضع والذل والانكسار بين يدي الله جل وعلا ، فذكر الله عز وجل الاخبات مبشرًا المخبتين بأعظم بشارة ذاكرًا أهم صفاتهم وأبرز نعوتهم فقال جل في علاه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ جعلنا الله منهم ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج:34-35] .

ثم ذكر جل وعلا صفة نحر الإبل ، وأنها تُنحر قائمة صواف ، ويُذكر اسم الله جل في علاه عند نحرها ، ثم إذا وجبت –أي سقطت على جنوبها– فليأكل منها المتقرب بها إلى الله وليطعِم منها القانع والمعتر ؛ أي الفقير الذي يسأل والفقير الذي لا يسأل .

ثم ذكر جل وعلا غناه التام عن عباده وطاعاتهم وعباداتهم وقرابينهم ، وأنه جل وعلا لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى ، قال جل وعلا: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ [الحج:37] أي يناله إخلاصكم واحتسابكم ونيتكم الصالحة وإرادتكم التقرب إلى الله ونيل رضوانه جل في علاه؛ وهذا كله عائد نفعه إلى العبد ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ [يونس:108] .

ثم ختم هذا السياق المبارك ببشارة عظيمة للمحسنين فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج:37] وهذا فيه دعوة إلى العباد إلى الإحسان ؛ الإحسان إلى الله في عبادته ، والإحسان إلى العباد في معاملتهم ، وهذا إحسانٌ مطلوب من العباد في طاعة الحج وفي الطاعات كلها والقربات جميعها ؛ أما الإحسان في عبادة الله: فبأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وأما الإحسان في معاملة الخلق: فبأن تعاملهم بالمعاملة التي تحب أن تعامَل بها .

نسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعيننا أجمعين على ذكره وشكره وحُسن عبادته ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الخطبة الثانية :

الحمد لله كثيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد أيها المؤمنون : اتقوا الله ؛ فإن من اتقى الله وقاه ، وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه .

أيها المؤمنون : الحجاج وفدٌ مبارك وضيوفٌ كرام ، يكفيهم -عباد الله- شرفًا أن الله عز وجل أضافهم إلى نفسه تشريفًا له وتعليةً لمقامهم وبيانًا لعظيم أقدارهم ، كما في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : ((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ؛ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ)) . فيا معاشر العباد ، يا من تيسر له الحج ويا من لم يتيسر له؛ لنحترم احترامًا عظيمًا حجاج بيت الله الحرام ، وليكن لهم في نفوسنا محبةٌ وتقديرٌ وتوقير ، ولنستشعر هذا العمل الجليل الذي تكبدوا المشاق وتكلفوا النفقات وتغربوا عن الأوطان وبذلوا الجهد الجهيد والعناء الشديد لتحقيق هذه الطاعة العظيمة وتلبية نداء الله جل في علاه ، ولنكن معهم بقلوبنا ودعواتنا أن ييسِّر الله أمورهم ، وأن يتقبل طاعتهم ، وأن يغفر ذنوبهم ، وأن يبلغهم ما يؤمِّلون ويرجون من خير الدنيا والآخرة .

وإنا لنتوجَّه إلى الله ونسأله جل في علاه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يتقبل من حجاج بيت الله حجهم ، وأن ييسر لهم طاعتهم ونُسكهم ، وأن يذلل لهم الصعاب ، وأن ييسر لهم الأمور ، وأن يرزقهم الرضوان والغفران ، وأن يجعلهم من عتقائه من النيران بفضله ومنِّه جل في علاه ، وأن يغفر لنا ولهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

وصلّوا وسلّموا -رعاكم الله- على محمد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)) .

اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد . وارضَ اللّهمّ عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين ؛ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي ، وارضَ اللّهمّ عن الصّحابة أجمعين ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وعنّا معهم بمنِّك يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ أعزّ الإسلام والمسلمين ، اللهم انصر من نصر دينك وكتابك وسنَّة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم انصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان ، اللهم كُن لهم ناصرًا ومُعينا وحافظًا ومؤيدا ، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم . اللّهمّ آمنَّا في أوطاننا وأصلح أئمّتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتبع رضاك يا رب العالمين . اللّهم يا رب العالمين وفِّق جنودنا المرابطين على حدود البلاد واربط على قلوبهم وثبِّت أقدامهم وانصرهم على القوم المجرمين المعتدين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام . اللهم وفِّق ولي أمرنا لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم ووفقه وولي عهده لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال .

اللّهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . اللهم أعنَّا ولا تُعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، وامكر لنا ولا تمكر علينا ، واهدنا ويسِّر الهدى لنا ، وانصرنا على من بغى علينا . اللهم اجعلنا لك ذاكرين لك شاكرين ، إليك أواهين منيبين ، لك مخبتين لك مطيعين، اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا ، وثبِّت حجتنا ، واهد قلوبنا ، وسدد ألسنتنا ، واسلل سخيمة صدورنا . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .